«العواطف»، فكأنها تقول لنا، في ابتعاد النهاية عن البداية، إن منظور سميرة عـزام الاخلاقي لايستطيع ان يرى في التاريخ إلا مجالاً لعلاقات الاخلاق والعواطف. ويمكن ان نرى امراً مماثلاً تقريباً في قصة: «لأنه يحبهم» التي ترسم شرط الفلسطيني، في لجوئه، في علاقة ادبية ثم لاتلبث ان تكسر هذه العلاقة او العلاقات عندما تدفع بالقصة إلى جملة استطالات لاضرورة لها، فهي تحكي قصة الفلسطيني الذي يتمرّد دفاعاً عن كرامته وكرامة شعبه، يرى رمز البؤس في «وكالة الغوث» فيضرم النيران في «غنائم اللصوص والفئران»، وبدلاً من ان تكتب الكاتبة العلاقة بين البؤس وتمرّد الوعي عليه، فإنها تنزاح عما هو اساسي وتذهب في زوائد تحكي عن الماضي والحاضر والبؤس والكرامة، حتى تقترب القصة إلى حدود الافكار العامـة. إن اختزال المسـار الفلسطيني وتداخـل «الفكري» بـ«القصصي» و«التاريخي» بـ«الوعظي» يتجلّ من جديد في قصة: «خبز الغداء»؛ حيث يختلط المصير الفردي بالمصير العام في إطار رمز ديني يستنهض الاخلاق والمثل دون ان يمس بشكل ملائم المسار الفلسطيني في معناه الحقيقي.

إذا كانت القصص السابقة تشير إلى الوضع الفلسطيني مباشرة، فإن قصصاً اخرى تشير إلى هذا الوضع بشكل لامباشر، اي ان سميرة عزام كتبت ما هو «مباشر»، وكتبت ايضاً ما هو «لامباشر»، لكن الاول والثاني يتّحدان في الدلالة ويتقاسمان المعنى ذاته، ويصدران عن المصدر ذاته الذي يحدّد الحكاية ودلالتها. ومن هذه القصص: «طير الرخ في شهربان، هل كان رمزي، الحب والمكان» وهي من مجموعة: «الساعة والانسان». تحكي «طير الرخ» شروط الانسان المتخلّف وغربته عن العصر والتاريخ وعن سباته في الأفكار الغيبية التي تلغي العقل وتدمّر الانسان ثم تقود إلى الهزيمة. تروي سميرة، في إحدى افضل قصصها ، سطوة الشيخ الذي يجلد كل انسان يدّعي انه شاهد قطاراً او طائرة، لأن هذه الرؤية هي برهان على الزندقة ودليل على الخروج عن الدين. ويستمر سوط الشيخ فاعلاً في اجواء قرية تعيش على هامش التاريخ، حتى يستيقظ اهل القرية يوماً على هدير الطائر المروّع، الذي يعلن حقيقة عصر، ويعلن ايضاً عن غزو «العلم» لمساحات الجهل والتخلّف، او يعلن سقوط الاوطان الصامتة أمام آلة الاستعمار. اما القصة الثانية، فتمزج الحدث بالرمز، او تجعل الحدث لايعطي معناه إلا إذا قرىء كرمز او كحدث مزدوج الدلالة. موضوعها هو التعلّق بالصورة الاولى، ورفض كل صورة اخرى، حتى ولو كانت قريبة او شبيهة، لأن الاشياء لاتقبل في ظواهرها، بل بدلالتها التي تكوّنت إثر تعايش وتاريخ تركا بصماتهما على الصورة وعلى صاحب الصورة؛ تفقد «ام رمزي» طفلها، وتبحث عنه طويلاً، ويأتيها الناس بعد حين بطفل يشبه «رمزي» عثروا عليه بين «النوَرَ». ترفض الأم الطفل الجديد كما يرفض الطفل امومته الجديدة، فيهرب الطفل، وتظل الأم تسأل المارة عن «ولد في الرابعة يلبس بنطالاً ازرق. تطرح هذه القصة موضوع الانتماء ودلالة المكان، فالمواضيع الحميمة لاتخضع للتبادل، فهي جزء من الانسان، يتواصل معه، ويحسه ويرى فيه آثار زمانه، اي ان الانتماء لايُخترع، لأنه ببساطة اختيار حر، وتجربة ومعاناة وتاريخ، وان الاوطان لاتستبدل، لأنها مساحة ارض محدّدة بالهوية والذاكرة والعمل، فكأن هذه القصة تكتب في سطورها قول «توفيق زياد»: الارض